هَل العَالَمُ كُلُّه مخلوقٌ ومرزوقٌ من بركة النبيّ ﷺ أو من أسباب أُخرى ؟

للشيخ محمَّد الأمين بن محمَّد المختار الشنقيطي /

(ت ١٣٩٣هـ)

دراسة وتحقيق

الدكتور / عبدالعزيز بن صالح بن إبراهيم الطويان

أستاذ مساعد في كلية الدعوة بالجامعة الإسلامية

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وإمام المرسلين ؛ نبيّنا محمَّد ، وعلى آله وأصحابه أجمعين ، وبعد :

فإنَّ الله لأ بعث رسوله محمّدًا خ ليكون للعالمين نذيرًا ، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا . بعثه الله لأ بين يدي الساعة ؛ حين استشرى الشرك ، واتخذ الناس من دون الله آلهة يستغيثون بهم عند الشدائد ، ويستعينون بهم في تذليل العقبات والمصاعب .

فدعاهم خ إلى التوحيد الخالص ، المتمثّل في إفراد الله لأ بالعبادة ، ونبذ ما كانوا فيه من الشرك والوثنيَّة .

وحرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على حماية جناب التوحيد من كلّ شائبة.

ومن مظاهر حرصه على ذلك: نهي أمته عن الغلوّ فيه بأيّ نوع من أنواع الغلوّ. يقول خ : « **لاَ تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ ، فَقُولُوا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ** »[1] . فهو عبد الله ورسول الله صلى الله عليه وسلّم .

---

(١) صحيح البخاري ، أحاديث الأنبياء ، ح ٣٤٤٥ .

ومن لوازم محبّتنا الصادقة له خ : ألا نعتقد خلاف ما أخبرنا ، وأن نؤمن بما جاء به خ من العقائد ؛ إذ ليس لأحد أن يأتي بمثل ما جاء به خ من الشرع ، فضلاً عن مجيئه بأحسن منه .

ولـمَّا كان قد وقع بيدي رسالة أجاب فيها فضيلة الشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي : عن سؤال وُجِّه إليه، يسأل فيه السائل عن العالَم: هل هو مخلوقٌ ومرزوق من بركة النبيّ خ، ورأيتُ في مثل هذا الاعتقاد ما يُخالف نهيه خ عن الإطراء، وعن المغالاة فيه ومجاوزة حدّه خ؛ من كونه بشرًا من ذرية آدم إ ، قمتُ بتحقيق هذه الرسالة رغبة في إظهار الحقّ، وثقةً في علمِ صاحب الجواب؛ فضيلة الشيخ العلامة محمّد الأمين الشنقيطي رحمه الله-الذي صرف وقته ، وبذل جهده في خدمة هذا الدين، والنصح لأمة سيّد الأنبياء والمرسلين ، وتوجيهها إلى ما فيه الخير لها في العاجلة والآجلة - .

وقد قمت بتحقيق هذه الرسالة ، وقدّمت بين يدي التحقيق دراسة ، عرّفت فيها بالموضوع الذي تناوله الشيخ -رحمه الله- في هذه الرسالة ، وأتبعتها بترجمة موجزة لصاحب هذه الرسالة ، ثـمّ وصف النسخة الخطية التي رجعت إليها .

القِسْمُ الأوَّل

الدِّرَاسَة

موضوع الرسالة :

موضوع هذه الرسالة التي كتبها العلامة الشنقيطي -رحمه الله- : في الردّ على دعوى الرافضة ، والصوفية في النبيّ -صلى الله عليه وسلّم- أنَّه خُلق من نور قبل خلق المخلوقات ، وأنَّ المخلوقات خُلقت من أجله ، وببركته -عليه الصلاة والسلام- .

دراسة هذا الموضوع -التبرُّك- :

لا شكّ أنَّ الخيرَ كلَّه بيد الله تبارك وتعالى ، لا يقدر على ذلك أحدٌ سواه ؛ فهو على كلّ شيء قدير .

وأنواع الخير كلّها منه - ـ ومنها النّعم التي لا تُعدّ ولا تُحصى- ، والخلق جميعًا مفتقرون إليه لأ، وإلى ما في يديه جل وعلا .

وإذا كانت الخيراتُ والنّعم في الدنيا والآخرة منه لأ، ومن فضله على عباده ، فإنَّ دوام هذه الخيرات والنّعم منه أيضًا، وكذا كثرتها وزيادتها ، كلُّ ذلك منه لأ.

وكثرة الخيرات، وزيادة النّعم هو البركة ؛ فأصل البركة: الزيادة والنماء[1] . وهذه تُضاف إلى الله وحده ، وتُطلب من الله وحده .

---

(١) انظر تهذيب اللغة للأزهري ١٠/ ٢٣١ .

وهذا مِمَّا علَّمه رسولنا خ لأمّته ؛ إذ حمى جناب التوحيد ، وأسند البركة إلى مولاه لأ ؛ فقد أخرج البخاري في صحيحه عن جابر بن عبدِ الله رضيَ الله عنهما قال: «قد رأيتُني مع النبي خ وقد حَضرَتِ العصرُ وليس معَنا ماءٌ غير فَضلة. فجعلَ في إناء. فأتي النبيّ خ به فأدخل يَدَهُ فيه وفرَّجَ أصابعهُ ، ثم قال: "حيَّ على أهل الوضوءِ ، البركة من الله" . فلقد رأيتُ الماءَ يتفجر من بين أصابعه. فتوضأ الناسُ وشربوا. فجعلتُ لا آلو ما جعلتُ في بطني منه فعَلِمتُ أنه بركة. قلت لجابر: كم كنتم يومئذ؟ قال: ألفٌ وأربعمائة»[1] .

وهذه البركة يضعها مولانا لأ فيمن شاء من خلقه ، وفيما شاء من بريّته .

وقد أخبر سبحانه وتعالى أنَّه أعطى بركةً لأصناف من خلقه ، منهم الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام. يقول لأ في إبراهيم وإسحاق عليهما السلام: ﴿ وَبَٰرَكۡنَا عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ إِسۡحَٰقَۚ ﴾ [الصافات: ١١٣]، ويقول في إبراهيم إ وأهل بيته : ﴿ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ٧٣ ﴾ [هود : ٧٣] ، وقال في نوح إ: ﴿ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ ﴾ [هود : ٤٨] ، وقال في

(١) صحيح البخاري ، كتاب الأشربة ، باب : شرب البركة والماء المبارك ، ح ٥٦٣٩ .

عيسى : ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۝ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ ﴾ [مريم : ٣٠-٣١] .

وهذه بركة خاصَّة لازمة لذاتٍ بعينها ، وتكون متعدية ، يحصل التبرُّك بأعيانها -في ذاتها وآثارها الحسيَّة المنفصلة منها - ، لما فيها من البركة اللازمة الدائمة بالذات . وأثر هذه البركة هو : ((ما اتّصل بتلك الذات مباركًا . وهذا النوع للأنبياء والمرسلين ، لا يشركهم فيه غيرُهم ، حتى أكابر أصحاب النبيّ محمَّد خ ؛ كأبي بكر وعمر وعثمان وعليّ لا يشركونهم في هذه البركة))[1] .

ولقد تبرَّك أصحاب رسول الله خ بذاته ، وبآثاره الحسيَّة المنفصلة منه في حياته خ، وأقرَّهم على ذلك، ولم يُنكر عليهم . وتبرّكوا بها بعد وفاته، مِمَّا يرشد إلى مشروعيَّة هذا التبرُّك ؛ فقد تبرَّكت أم المؤمنين عائشةلبيده الشريفة ، فكانت تقرأ عليه بالمعوّذات حين اشتدّ وجعه، وتمسح عليه بيد نفسه خ رجاء بركتها -كما قالت[2]- .

---

(١) هذه مفاهيمنا ، لمعالي الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ ص ٢٠٤ .
(٢) صحيح البخاري ، كتاب الطب ، باب الرقى بالقرآن والمعوذات ، وباب النفث في الرقية ، وباب المرأة ترقي الرجل ، ح ٥٠١٦ .

وكان الصحابة –رضي الله تعالى عنهم– يمسحون بيدي رسول الله –صلى الله عليه وسلَّم– ، ويضعونها على وجوههم رجاء بركتها[١] .

وكانوا –رضي الله عنهم– يتبرَّكون بشعر رسول الله خ، وقد أقرَّهم على ذلك ، بل إنَّه وزّعه عليهم[٢] .

وكانوا يتبرَّكون بعرقه خ[٣]، وبريقه[٤]، وبنخامته؛ فيدلكون بها وجوههم وجلودهم[٥] .

وكتب السنة مليئة بتبرُّك أولئك الأخيار برسولهم –صلى الله عليه وسلم– ، في حياته ، وبعد وفاته[٦] .

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب المناقب ، باب صفة النبي خ ، ح ٣٥٥٣ ،، وصحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، باب قرب النبيّ خ من الناس وتبركهم به ، ح ٦١٨٧ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الحج ، باب : بيان أن السنة يوم النحر أن يرمي ثم ينحر ثم يحلق، ح ٣٢١٣ .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، باب طيب عرق النبيّ خ والتبرك به ، ح ٦٢٠٢ .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب العقيقة ، باب تسمية المولود غداة يولد لمن لم يعق عنه، وتحنيكه ، ح ٥٤٦٧، ٥٤٦٩ ،، وصحيح مسلم ، كتاب الآداب ، باب استحباب تحنيك المولود عند ولادته ، ح ٥٧٤٠-٥٧٤١ .

(٥) صحيح البخاري ، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحروب ، ح ٣٧٣١ .

(٦) انظر : التبرُّك : أحكامه وأنواعه للدكتور ناصر الجديع ص ٢٤٣-٢٦٠ .

((وهذا النوع من تعدّي البركة قد انقطع بعد موت النبيّ ﷺ ، إلا ما كان من أجزاء ذاته باقيًا بيقين بعد موته عند أحد . وقد ذهب ذلك المتيقَّن مع انقراض قرن الصحابة ن))[1] .

فتبيَّن بهذا أنَّ رسولنا خ مباركٌ في ذاته وآثاره ؛ في حياته ، وبعد مماته إذا ثبت يقينًا بقاء شيء من أجزاء ذاته ﷺ بعد موته عند أحد .

لكنّ السؤال الذي وُجِّه إلى فضيلة الشيخ محمَّد الأمين الشنقيطي /: هل العالم كلّه مخلوقٌ ومرزوق من بركة النبيّ ﷺ ؟ :

يحتمل أمرين :

إمَّا أنَّ السائل يسأل : هل سببُ وجود العالم هو رسول الله ﷺ ؟ أو : هل أصل المخلوقات وإيجادها من نور الرسول ﷺ ؟

والثاني هو الأقرب؛ لأنَّ ما ختم به فضيلة العلامة الشنقيطي جوابه يُفهم منه ذلك ؛ حيث يقول : ((وعلى كلّ حال : فمن المعلوم الواضح أنَّه لا ينبغي لأحدٍ أن يقول : إنَّ فرعون ، وهامان ، وقارون ، وعاقر ناقة صالح ، وأبا جهل ، وأمية ابن خلف، ونحوهم من أئمة الكفر ، خُلِقوا من بركة سيِّدنا محمَّدٍ ﷺ ، وكذلك سائر المشركين

(١) هذه مفاهيمنا ، لمعالي الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ ص ٢٠٤ .

والكفَّار ، لأنَّه ﷺ خيرٌ كلُّه ، ولا ينشأ عنه إلا خير محض ، كما لا يخفى)) [1] .

والسؤال –باحتماليه : هل العالم خُلق لأجله ﷺ أم من نوره – لم أجد من تطرَّق له قبل الشيخ الشنقيطي : –فيما أعلم، ومن خلال قراءتي واطلاعي–!.

وما أجاب به فضيلة العلامة الشيخ الشنقيطي رحمه الله فيه التأكيد على أنَّ الحكمة إلهيَّة ربَّانيَّة ، لا نبويَّة . فالله جلّ وعلا كما قال الشيخ الشنقيطي: ((غنيّ عن الخلائق كلِّهم ، وقد اقتضت حكمته أن يخلق السموات والأرض ونحوهما ليُقيم ذلك بُرهاناً قاطعاً على كمال قدرته ، وعظمته ، وأنَّه المعبودُ وحده ، وخَلَقَ العقلاءَ كلَّهم لتلك الحكمة ، ولحكم أخرى عظيمة ، وهي : أنَّه يأمرهم ، وينهاهم على ألسنة رسله عليهم الصلاة والسلام ، ثمّ يُوفِّق فريقاً منهم ؛ وهم أهل الجنَّة ، ولم يفعل ذلك لغيرهم ؛ وهم أهل النار .... –إلى أن قال :– وبذلك تعلم أنّ من حِكَم رزقه تعالى لخلقه : إقامة البُرهان لهم بذلك على عظمته ، وكمال قدرته ، وأنَّه المعبود وحده جلّ وعلا)) .

فحكمة خلق الخلق ورَزقهم إلهيّة ربَّانيّة ، لا نبويّة .

---

(١) انظر خاتمة هذا البحث ص ٣٨ .

أمَّا بركة النبيّ ﷺ : فسواء أراد بها السائل خلق العالم من نوره ، أو لأجله خ: فهذه المسألة مِمَّا يدندن حولها الرافضة والصوفيَّة ، مؤكدين قدم ذات رسول الله ﷺ وتقدّم خلقه .

فالصوفيَّة يقولون إنَّ رسولنا خ مخلوقٌ من نور، ولا يكتفون بهذا، بل يزعمون أنَّ العالمَ جميعه خُلق من نوره ﷺ ؛

يقول عبدالكريم الجيلي : ((لما خلق الله سبحانه وتعالى العالمَ جميعَه من نور محمد خ، كان المحلّ المخلوق منه إسرافيل قلبَ محمّد ﷺ)) [(١)] .

وهذا يدلّ على اعتقاده أنَّ رسول الله ﷺ أصلٌ لجميع ما في هذا العالم من مخلوقات .

ويقول أحمد الرفاعي في ورده الخاصّ بالصلاة على النبيّ ﷺ : ((اللهم صل وسلّم على نورك الأسبق وصراطك المحقق ؛ من أبرزته رحمة شاملة لوجودك وأكرمته بشهودك...فهو سرّك القديم الساري وماء جوهر الجوهرية الجاري الذي أحييت به الموجودات من معدن وحيوان ونبات ...)) [(٢)] .

---

(١) الإنسان الكامل للجيلي ٢/ ٣٠ .

(٢) مجموعة الأوراد والأدعية والاستغاثات للبكري ص ١٦٤ .

وقال أحمد الدرديري : ((اللهم صلّ وسلِّم وبارك على سيدنا محمد شجرة الأصل النورانيَّة ، ولمعة القبضة الرحمانيَّة ..)) [١] .

وبنحوه قال عبدالعزيز الدباغ عنه ﷺ أنَّه : ((أول ما خلق الله تعالى ، وسقى المخلوقات والأنبياء والأولياء والمؤمنين من نوره عليه الصلاة والسلام كلّ على قدر طاقته))[٢] .

ويقول أحمد يار خان : ((إنّ رسول الله نورٌ من نور الله ، وكلّ الخلائق من نوره ..)) [٣] .

ويقول أبو المواهب الشاذليّ عن أسبقيّة وجوده ، وأنها سبب في وجود الموجودات : ((إذ لولا أسبقيَّة وجوده ما وجد موجود ، ولولا نوره في ضمائر الكون إلى أن برز لتهدمت دعائم الوجود؛ فهو الذي وجد أولاً وتبعه الوجود وصار مرتبطًا به)) [٤] .

وهذا مثل قول البوصيري :

---

(١) مجموعة الأوراد والأدعية والاستغاثات للبكري ص ٢١ .
(٢) الإبريز لعبدالعزيز الدباغ ص ٢٥٣ .
(٣) مواعظ نعيمية لأحمد يار خان ص ١٤ .
(٤) حجة الله على العالمين للنبهاني ص ٤٨ .

فـإنّ مـن جـودك الـدنيا وضرّتهـا ومـن علومـك علـم اللـوح والقلم[١]

ومثل قول ابن نباته المصري :

لولاه ما كان أرض ولا أفق ولا زمان ولا خلق ولا جيل[٢]

إلى آخر ما أوردوه في كتبهم من أقوال تنضـح بمعتقـدهم في خلـق رسول الله خ من نور ، وأنَّه أول المخلوقات ، وأنَّ الكون خُلـق بعـده وبسببه ، وأنه لا يستغني عنه بحال من الأحوال .

وغاية ما يستندون إليه في هذه المزاعم مجموعة نصـوص لا تسـتقر في ميزان النقد العلميّ ، منها :

أولاً- أدلتهم على أنّ العالم وجـد لأجـل رسـول الله -صـلى الله عليه وسلّم- ، وهو سبب في ذلك :

١- حديث أخرجه الحاكم في المستدرك بسنده عن عبدالله بـن مسلم الفهري عن إسماعيل بن مسلمة عـن عبـدالرحمن بـن زيـد عن أبيه، عن عمر بن الخطاب ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : لمـا اقترف آدم الخطيئة قال : يا رب بحق محمد لما غفـرت لي ؟ قـال :

(١) البردة للبوصيري ص ٣٥ .
(٢) نقلا عن التصوف بين الحق والخلق لشقفة ص ٧٧ .

وكيف عرفت محمدًا ؟ قال : لأنك لما خلقتني بيدك ، ونفخت فيَّ من روحك ، رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوبًا "لا إله إلا الله محمد رسول الله" ، فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك . قال : صدقت يا آدم ، ولولا محمد ما خلقتك[١] .

وهذا الحديث فيه عبدالرحمن بن زيد بن أسلم ، روى عن أبيه أحاديث موضوعة، كما قال ذلك –الحاكم نفسه الذي خرَّج هذا الحديث– ؛ إذ قال في كتابه "المدخل إلى معرفة الصحيح من السقيم" : ((عبدالرحمن بن زيد ابن أسلم روى عن أبيه أحاديث موضوعة لا تخفى على من تأملها من أهل الصنعة أنَّ الحمل فيها عليه))[٢].

وقد نَسَفَ شيخُ الإسلام ابن تيمية : هذا الحديث –سندًا ومتنًا– في كلام طويل ، وبيَّن أنه من جنس الإسرائيليات ، وقال : ((ومثل هذا لا يجوز أن تُبنى عليه الشريعة، ولا أن يُحتج به في الدين باتفاق المسلمين ..))[٣] .

---

(١) المستدرك للحاكم ٢/ ٦١٥ .

(٢) انظر قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ٨٥ .

(٣) المصدر نفسه .

وقال عنه الإمامان الحافظان : الذهبي ، وابن حجر : إنّه حديث باطل موضوع[١] .

٢- حديث : **"لولاك لما خلقت الأفلاك"** .

هذا حديث موضوعٌ ، حكم عليه بالوضع : السيوطي في اللآلئ المصنوعة[٢]، والصغاني في الموضوعات[٣] ، والعجلوني في كشف الخفاء[٤]، والشوكاني في الفوائد المجموعة[٥]، وغيرهم. وقال عنه الألباني: ((إنه حديث موضوع))[٦].

ثانيًا- أدلتهم على تقدَّم خلق رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على سائر المخلوقات :

٣- حديث : ((**كنت نبيًّا وآدم بين الماء والطين**))، و((**كنت نبيًّا ولا آدم ولا ماء ولا طين**)) .

---

(١)انظر : ميزان الاعتدال للذهبي ٢/ ٥٠٤ ، ولسان الميزان لابن حجر ٣/ ٣٥٩-٣٦٠ .
(٢) ١/ ٢٧٢ .
(٣) ص ٥٢ .
(٤) ٢/ ٢٣٢ .
(٥) ص ٣٢٦ .
(٦) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للألباني ١/ ٢٨٢ .

وهو حديث موضوع أيضًا [١] .

قال السخاوي : ((لم نقف عليه بهذا اللفظ)) [٢] .

وقال السيوطي : ((لا أصل له بهذا اللفظ)) [٣] .

وقال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية : ((لا أصل له لا من نقل ولا من عقل؛ فإنّ أحدًا من المحدثين لم يذكره ، ومعناه باطل ؛ فإن آدم عليه السلام لم يكن بين الماء والطين قط؛ فإن الطين ماء وتراب، وإنما كان بين الروح والجسد.... ثمّ هؤلاء الضلال يتوهمون أنّ النبيّ خ كان موجودًا وأن ذاته خلقت قبل الذوات...))[٤].

وقول شيخ الإسلام : ((.. وإنّما كان بين الروح والجسد ..)) : فيه إشارة إلى حديث أبي هريرة ، وحديث ميسرة الفَجْر –رضي الله عنهما– ، وفيه أنّ كلَّ واحدٍ منهما سأل رسولَ الله –صلى الله عليه وسلم– : متى كنتَ نبيّاً ؟ أو متى وجَبَتْ لك النبوّة ؟ فقال –صلى

(١) انظر : سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للألباني ١/ ٣١٦ .
(٢) المقاصد الحسنة للسخاوي ص ٣٢٧
(٣) الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة للسيوطي ص ١٤٧-١٤٨ .
(٤) الردّ على البكري لابن تيمية ص ٩ .

الله عليه وسلم- : « وَآدَمُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ »[١] . وليس في هذا الحديث ما يشهد لهؤلاء، وغاية ما فيه الإشارة إلى مرتبتي القدر : العلم السابق ، والكتابة السابقة .

٤- حديث: **"كنت أول النبيِّين في الخلق، وآخرهم في البعث"** [٢].

وهو حديث موضوع ؛ ذكره ملا علي القاري في الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة[٣] . وقال محقق الفوائد لتمام الرازي : ((إسناده ضعيف ، فيه علتان : ضعف سعيد بن بشير ، والانقطاع بين الحسن وأبي هريرة))[٤] .

وقد خالف متنُ هذا الحديث القرآنَ الكريم في غير آية ، ((بل خالف الكتب السماوية التي تقول كلها بأن أول البشر ـ آدم عليه السلام ، وخالف السنة الصحيحة ... ويُخالف المحسوس المشاهد ؛ فالنبيّ ﷺ

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب المناقب ، ح ٣٩٦٨ ، وقال : "هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ لاَ نَعْرِفُهُ إِلاَّ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ. وَفِي الْبَابِ عَنْ مَيْسَرَةَ الْفَجْرِ" . وحديث ميسرة الفجر أخرجه الإمام أحمد في المسند ، ح ٢١١٣٨ .

(٢) أخرجه تمام الرازي في فوائده رقم (١٠٠٠) ، وأبو نعيم في الدلائل رقم (٣) ، وابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال ٣/ ٩١٩ ، ١٢٠٩ .

(٣) ص ٢٧٢-٢٧٣ .

(٤) فوائد تمام الرازي ، رقم (١٠٠٠) .

قد ولد من امرأة ، وتربى صغيرًا ثم كبر ، ولم يُنقل إلينا أنَّ رجلاً ولد قبل آدم ، وبقي محفوظًا في السماء ، حتى إذا حان موعد ولادته تشكل نطفة ثم علقة ثم مضغة مخلقة وغير مخلقة ، ثمّ قرّ في رحم أمه تسعة أشهر ...))[1] .

ثالثًا- أدلتهم على أنّ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مخلوقٌ من نور :

اختلق الرافضة الأحاديث التي تدلل على أن آل بيت النبيّ ، ومعهم النبيّ ﷺ قد خلقوا من نور الله لأ .

فمن ذلك : ما أخرجه ابن المغازلي _الرافضي_ في مناقب علي ، وأخطب خوارزم -الرافضي- في المناقب ، وغيرهما ، عن سلمان الفارسي قال : قال رسول الله ﷺ : ((**كنت أنا وعليّ نورًا بين يدي الله مطبقًا يسبح الله ذلك النورُ ويقدسه قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام . فلما خلق الله آدم ركّب ذلك النور في صلبه ، فلم يزل في**

(١) النور المحمدي بين هدي الكتاب المبين وغلوّ الغالين لعداب محمود الحمش ص ٢٦ .

شيء واحد حتى افترقنا في صلب عبد المطلب ؛ فجزء أنا وجزء علي بن أبي طالب)) [١] .

وهذا حديث من وضع الرافضة.

وقد أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق[٢]، من رواية الحسن بن علي ابن صالح؛ أبي سعيد العدوي البصري ، الملقب بـ"الذئب" (ت ٣١٩هـ) ؛ قال عنه الدارقطني : "متروك"، وقال ابن عدي : "يضع الحديث"[٣] . وحكم على هذا الحديث بالوضع : ابن الجوزي[٤] ، والسيوطي[٥] ، والشوكاني[٦] ، وقال عنه محمود شكري الألوسي: ((وهذا الحديث موضوع قطعًا بإجماع أهل السنة)) [٧] .

وكذا ما أخرجه أخطب خوارزم –الرافضي– في المناقب ، من حديث ابن عمر قال : سمعت رسول الله ﷺ وقد سئل بأي لغة خاطبك ربك ليلة المعراج ؟ فقال : ((**خاطبني بلغة علي بن أبي طالب**

---

(١) مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب لابن المغازلي ص ٨٨ ، والمناقب لأخطب خوارزم ص ٨٨ ، والأمالي لشيخ الطائفة الطوسي ١/ ١٨٦ .
(٢) انظر تاريخ دمشق لابن عساكر ٤٢/ ٦٢ .
(٣) انظر : ميزان الاعتدال للذهبي ٢/ ٢٥٨ ، ولسان الميزان لابن حجر ٢/ ٢٢٩ .
(٤) انظر الموضوعات لابن الجوزي ١/ ٣٤٠ .
(٥) انظر اللآلئ المصنوعة للسيوطي ١/ ٣٢٠ .
(٦) انظر الفوائد المجموعة للشوكاني ص ١٠٧٨ .
(٧) مختصر التحفة الاثني عشرية لمحمود شكري الألوسي ص ١٦٨ .

، فألهمني أن قلت: يا رب ! خاطبتني أنت أم علي ؟ فقال : يا أحمد أنا شيء ليس كالأشياء ، لا أقاس بالناس ، ولا أوصف بالأشياء . خلقتك من نوري ، وخلقت عليًّا من نورك ، واطّلعت على سرائر قلبك فلم أجد في قلبك أحبّ إليك من علي بن أبي طالب ، فخاطبتك بلسانه كيما يطمئن قلبك))[1] .

وهذا أيضًا من وضع الرافضة ، ومداره على أبي مخنف لوط بن يحيى الرافضي، توفي سنة ١٧٠ هـ ، ورواه عن ابن عمر ، ولم يدركه[2] .

وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية : عن أخطب خوارزم الذي خرّج هذه الأحاديث : ((إن أخطب خوارزم هذا له مصنف في هذا الباب، فيه من الأحاديث المكذوبة ما لا يخفى كذبه على من له أدنى معرفة بالحديث، فضلا عن علماء الحديث ، وليس هو من علماء الحديث ، ولا ممن يُرجع إليه في هذا الشأن البتة . وهذه الأحاديث مما يعلم أهل المعرفة بالحديث أنها من المكذوبات)) [3] .

---

(١) المناقب لأخطب خوارزم ص ٣٧ .

(٢) انظر : ميزان الاعتدال للذهبي ٣/ ٤١٩ ، ورجال النجاشي-الشيعي- رقم ٩٧٧٢ .

(٣) منهاج السنة النبوية لابن تيمية ٣/ ١٠ .

أمَّا حديث النور الذي نسب –زورًا وبهتانًا– إلى جابر بن عبدالله ، وذكر العجلوني[١] أنّ عبدالرزاق الصنعاني قد خرّجه ، وفيه : ((**إنّ الله خلق قبل الأشياء نور نبيّك من نوره ..**)) ، وهو حديث باطل موضوع ، نُسب إلى عبدالرزاق ، وليس في مصنّفه ، ولا في كتاب من كتب الحديث ، بله كتب الضعفاء والمتروكين. فإذا لم يكن الحديث في هذه الكتب ، فأين يكون ؟!

ونسبة الحديث إلى كتاب من كتب عبدالرزاق لا يعني صحته ؛ بل قد روي عنه –كما قال الحافظ ابن عدي– ((أحاديث في الفضائل لا يُوافق عليها))[٢] . فإذا لم يُوافَق على أحاديث رواها في الفضائل، فكيف يُوافق على ما خالف العقيدة؛ حيث جعل الحديثُ –الذي نسبوه إليه– النبيَّ خ مصدر المخلوقات جميعًا ؟!. لذلك نقول في حديث جابر المنسوب إلى عبدالرزاق ما قاله الشيخ الألباني : : ((..وليس لذلك أساس من الصحة، وحديث عبدالرزاق غير معروف إسناده))[٣] .

وهذا من قول الصوفيَّة، وغلوّهم في رسول الله خ ، وزعمهم أنَّه خلق من نور . وهذا قد دخل عليهم من قبل الرافضة .

---

(١) في كشف الخفاء ١/ ٣١١ .
(٢) الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي ٥/ ١٩٤٨ .
(٣) السلسلة الصحيحة للألباني ، رقم ١٣٣ .

وأغلب معتقدات الرافضة متأثرة بالمجوسيّة ، واليهوديّة المحرّفة .

يقول الدكتور عداب الحمش : ((إنّ ممَّا لا أتحرّج من اعتقاده أن كثيرًا من معتقدات الشيعة قد تأثرت بالتراث الفارسي الثنوي ؛ فالنور عندهم رمز للخير ...))[1] .

المعتقد الصحيح في نبيِّنا –صلى الله عليه وسلم- :

وينبغي أن نعلم أخيرًا أنّ من لوازم محبتنا لرسولنا خ أن نؤمن بما جاء به من العقائد ، وأن لا نعتقد عقائد تُخالف ما جاء به ؛ إذ ليس لأحد أن يأتي بمثل ما جاء به من الشرع ، فضلاً عن مجيئه بأحسن منه .

وحقيقة نبيّنا ﷺ أنَّه بشرٌ ـ أكرمه الله بالنبوَّة وخصَّه بالرسالة ، وأوجب علينا توقيره ومحبّته ، ونصرة دينه واتّباع سنته ؛ فهو بشرٌ ـ من ذريَّة آدم ، وليس من نور الله ولا خُلق من نور ، بل هو رسولٌ أمين ، وهو هاد إلى صراط الله المستقيم : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ

(١)النور المحمدي بين هدي الكتاب المبين وغلوّ الغالين لعداب محمود الحمش ص ٢٨ .

﴿إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف : ١١٠] .

ترجمة موجزة للمؤلِّف:

اسمه ونسبه : هو العلامة محمد الأمين بن محمد المختار بن عبدالقادر ابن محمد ابن أحمد نوح بن محمد بن سيدي بن أحمد بن المختار . من أولاد الطالب أوبك . وهذا من أولاد أولاد كرير بن الموافي بن يعقوب بن جاكن الأبر ؛ جدّ القبيلة الكبيرة المشهورة المعروفة بالجكنيِّين ، ويُعرفون بتجكانت . ويرجع نسب القبيلة إلى حِمْيَر[1] .

مولده : ولد رحمه الله عام (١٣٢٥هـ) ، وكان مسقط رأسه عند ماء يُسمّى (تَنْبَه) ؛ من أعمال مديرية (كيفا) ، من القطر المسمّى بـ"شنقيط" ؛ وهو دولة موريتانيا الإسلامية الآن . علماً بأنّ كلمة "شنقيط" كانت ولا تزال تُطلق على قرية من أعمال مديرية (أطار)، في أقصى موريتانيا في الشمال الغربي[2].

---

(١) انظر ترجمته بقلم تلميذه الشيخ عطية سالم في أضواء البيان ١٩/ ١ .
(٢) انظر المصدر نفسه ١٨/ ١ .

صفاته الخلقية : كان ـ رحمه الله ـ أسمر اللون ، ربعاً ، معتدلاً ، قوي البنية والعضلات ، عظيم الهامة ، معتدلاً في الضخامة ، ليس بالضخم ولا بالرقيق، إلا أنَّه في آخر حياته حين اشتدّ به المرض رقّ جسمه كثيراً[(١)].

وقال عنه الشيخ بكر بن عبدالله أبو زيد رحمه الله : " لو مرّ في جمعٍ من النَّاس وأنت لا تعرفه ، لقلتَ هذا عالم كبير ؛ لما تلمح فيه من النبوغ والألمعية ، ولما عليه من جلالة العلم ، ووقار العلماء" [(٢)] .

وقال عنه ابنه د. محمد المختار : كان شجاعاً ، قوي البنية . وقد صرع رجلاً مشهوراً بالقوة .

صفاته الخُلُقيَّة : كان -رحمه الله- يتحلّى بفضائل كثيرة ؛ منها : غض الطرف عن زلة من أساء إليه ، وعدم الانتقام لنفسه ، وعدم الغضب ، مع الحلم ، والصفح ، ومقابلة الإساءة بالإحسان .

وقد كان ـ رحمه الله ـ يتعاهد الفقراء بالعطية ، ويقضي ـ مصالح الضعفاء ، ويبذل جاهه وماله لمن طلبه ، مستغنياً بعفته وقناعته ، بل

---

(١) نقلاً عن الأستاذ محمد الأمين بن الحسين ؛ أحد تلاميذ الشيخ ، والمدرس بالمعهد الثانوي بالجامعة الإسلامية ، وذلك في مقابلة أجريتها معه .

(٢) نقلاً عن كتاب : منهج الشيخ الشنقيطي في تفسير آيات الأحكام للسديس ص ٨٠ .

تراه يترك حقه الخاصّ تعففاً عنه . ومات ولم يُخلِّف درهماً ولا ديناراً[١] .

ولم يكن ـ رحمه الله ـ يغتاب أحداً ، أو يسمح بغيبة أحد في مجلسه ، وكثيراً ما كان يقول لإخوانه : "تكايسوا" ؛ أي من الكياسة والتحفظ من خطر الغيبة ، ويقول : "إذا كان الإنسان يعلم أنَّ كل ما يتكلَّم به يأتي في صحيفته ، فلا يأتي فيها إلا الشيء الطيب"[٢] .

عقيدته : كان –رحمه الله– مِمَّن نوَّر الله بصيرتهم ، فاعتنوا بإبراز معتقد السلف، والنَّهل من الوحي؛ فقد كان سلفيّ الاعتقاد : يصدر في أقواله وتقريراته عن الكتاب والسنَّة ، ويُحذِّر من الأهواء والبدع ، ويقول بما قال به الصحابة ﷺ والتابعون والأئمة المشهورون من السلف الصالح ﷺ . وكان –رحمه الله– من الذين أكرمهم الله ﷻ بالانتصار لمذهب السلف ، والدفاع عنه ، والدعوة إليه ، والاعتناء به تدريساً وتأليفاً .

وفاته : توفي –رحمه الله– ضحى يوم الخميس ١٧/ ١٢/ ١٣٩٣هـ ، وكانت وفاته بمكة المكرمة مرجعه من الحجّ ، ودفن في مقبرة المعلاة

---

(١) انظر ترجمة الشيخ رحمه الله في كتابي : جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف ١/ ٣٥-٣٧ .

(٢) انظر ترجمة الشيخ بقلم تلميذه الشيخ عطية سالم في مقدمة أضواء البيان ١/ ٦٣ .

، وصلّى عليه سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز –رحمه الله– .

صدى وفاته : حزن النَّاس عليه حزناً شديداً ، ورثاه عددٌ كبيرٌ من الشعراء بأبيات كثيرة ، أقتصر على مقتطفات من بعضها .

فمن ذلك : ما رثاه به تلميذه وابن عمّه الشيخ أحمد بن أحمد الجكني الشنقيطي في قصيدة طويلة منها[1] :

أبكي الأمينَ وليتني من علمه ما عشت فزت بنيل كلّ بيان

أبكي الأمينَ محمَّداً وإنّني أبكي الأمين لشرعة القرآن

من ذا يلومك إن بكيت مفوّهاً سمح الخليقة من بني الإنسان

ومن ذلك : ما رثاه به الشيخ محمد الأمين بن مختار الجكني ، ابن عمّ الشيخ –رحمه الله– في قصيدة طويلة جاء فيها :

هو الموت لا ينفكّ يفجع معشراً بكوكبه الدريّ بين الكواكب

(١) نقلاً عن منهج الشنقيطي في تفسير آيات الأحكام ص ٦٤ .

فتى لم ير الراؤون شرواه بعده ولا أنجبت شرواه بيض الكواعب

عجيب غريب في البرايا وإنما غرائبه في العلم فوق الغرائب

ومن ذلك : ما رثاه به الشيخ أحمد بن محمد بن عبد الله بن آدّ الشنقيطي بقصيدة طويلة ، أذكر منها :

أعينيّ جودا بالدموع السواكب لمن ضوءه قد فاق ضوء الكواكب له الفضل في التفسير إن رمت باحثاً وفي الفقه والتوحيد من كل جانب

ففي النحو أستاذ وفي الشعر حجّة وفي الجود بحر يُرتجى للنوائب

حواه ثرى المعلا فيا حسن ما حوى إمام له في الدين أولى المراتب

رحم الله الشيخ محمد الأمين رحمة واسعة .

وصف النسخة الخطية :

النسخة المعتمدة كتبها تلميذ الشيخ محمد الأمين : الشيخ محمد الأمين ابن الحسين –مدرس في المعهد الثانوي بالجامعة الإسلامية ، ومن أبرز تلاميذ الشيخ الذين كتبوا عنه أضواء البيان– ، كتبها بخط مغربيّ قديم ، وهي تقع في إحدى عشرة صفحة ، معدّل الأسطر في كل صفحة خمس وعشرون ، وفي كلّ سطر خمس عشرة كلمة في المتوسط .

وقد كتبها الشيخ محمد الأمين بن الحسين في حياة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله . ولم يتبيَّن لي تاريخ النسخ .

وقد حصلت عليها من مكتبة ولد الشيخ محمد الأمين: الدكتور عبدالله حفظه الله، الذي زوّدني بهذه النسخة من مؤلفات الشيخ ، وبغيرها من المؤلّفات ، فوصل أياديه البيضاء السابقة –عند كتابتي لرسالة الماجستير عن جهود والده الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف– بأيادٍ بيضاء لا زالت تتوالى عليّ ، ويلزمني شكرها . فشكر الله له ما قدّم ، وأجزل له المثوبة .

نماذج من المخطوطة

القِسْم الثَّاني

النصّ المحقَّق

صورة سؤال المكرم الأمير عثمان بن عبدالرحمن[١]

ق ١

هـي : ((هل العالـم كله مخلـوق ، ومرزوق من بركـة النبـيّ ﷺ ، أو ذلك له أسباب أخرى ؟)) .

والجـواب عـن ذلك مـن القـرآن الكـريم ؛ وهـو : أنَّ الحِكَـمَ التي خُلِقَ من أجلها العالم ، ورُزِقَ كلَّها إلهيَّة ، ربَّانيّة ، لا نبويَّة .

وقد أوضح الله جلّ وعلا أنها كلَّها راجعـةٌ إليـه هـو تعـالى ، لا إلى سيِّدنا محمدٍ ﷺ ؛ فبيَّن أنّ من حِكَـم خلقـه للمخلوقـات هـو أن يُقـيم بذلك البرهان القاطع على صحَّة معنى كلمة " لا إله إلا الله " في آيات كثيرة جداً ؛ كـقوله تعالى في سـورة "البقـرة" : ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾[٢] .

ثمّ أقام البرهان القـاطع[٣] عـلى ذلـك بقولـه بعـده : ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ

---

(١) هو الأمير عثمان بن عبدالرحمن بن سـويد أحمـد ، مـن قبائـل إدوعـيش . وأرسـل بهـذا السؤال من موريتانيا قبل وفاة الشيخ بمدة . وهم مـن أهـل الشـوكة والسـلاح وطبقـة الأمراء في الغزو، وليسوا متخصصين في طلب العلم ، وإن كان الأمير طالب علم جيد. والرسالة بخط الشـيخ / محمد الأمين الحسين ؛ أملاها عليه الشـيخ الشـنقيطي رحمـه الله رحمة واسعة . (أخبرني بهذه المعلومة : الدكتور عبد الله بن الشيخ محمد الأمين) .

(٢) الآية {١٦٣} ، من سورة البقرة .

(٣) على ألوهيَّة الله واستحقاقه للعبـادة . وقـد أفـاض الشـيخ رحمـه الله في تقريـر توحيـد الألوهيَّة بهذه البراهين الشرعيَّة العقليَّة ، فأورد في تفسيره نصوصـاً كثـيرة مـن القـرآن

بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾[1].

ومن أعظم الاستدلال بخلق المخلوقات على معنى "لا إلـه إلا الله " : مـا يتضح من النظر في ترتيب أوَّل سورة البقرة ؛ لأنَّه تعالى بـدأها بحروفٍ مقطّعةٍ هي : ﴿الٓمٓ ﴿١﴾﴾ ، ثمّ أتبـع ذلك بتعظيم شأن القـرآن ، في قولـه : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾، ثـمَّ بـيَّن أنَّ النـاس بالنسـبة إلى الإيمان بالقرآن ، والكفر به ثلاث طوائف :

ـ الطائفة الأولى : هي التي آمنت به ظاهراً وباطناً ، وهم المذكورون في قوله : ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾ الآية[2] .

ـ والطائفة الثانية : هي التـي كفـرت بـه ظـاهراً وباطنـاً ، وهـم المذكورون في قولـه : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ...﴾ الآية[3] .

الكريم تدلّ على وحدانيَّة الله ﷻ واستحقاقه للعبادة. ومن هـذه النصـوص مـا هـو في صفاته ﷻ الدالة على ألوهيَّته، ومنها ما هو في آياته الشرـعيَّة والكونيَّـة.(انظـر أضـواء البيان ٦/ ٢٦٥-٢٦٧ ،، ٣/ ١٠١) .

(١) الآية {١٦٤} ، من سورة البقرة .

(٢) الآيتان {٢-٣} ، من سورة البقرة .

(٣) الآية {٦-٧} ، من سورة البقرة .

ق ٢

- **الطائفة الثالثة :** هي التي آمنت به ظاهراً / وكفرت بـه باطنـاً ، وهم المنافقون المذكورون في قولـه تعـالى : ﴿ **وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا** . . ﴾ الآية[1] .

وأطال تعالى الكلامَ في هذه الطائفة الأخيرة ؛ لأنَّها شرُّ الطوائـف ، فضرب لها المثـل بالنَّـار في قولـه تعـالى : ﴿**مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا** . .﴾ الآية[2] ، وبالمـاء في قولـه تعـالى : ﴿ **أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ** ... ﴾ الآية[3] .

ولا شـكّ أنّ كـلّ مسـلمٍ سـمع هـذا التقسـيم إلى هـذه الطوائـف الـثلاث يتمنَّـى أن يعلـم الطريـق التـي توصلـه إلى أن يكـون مـن الطائفة الطيِّبة . فبيَّن تعـالى أنّ الطريـق الوحيد لكونه منها هـو تحقيـق معنى هاتين الكلمتين -أعني كلمـة "لا إلـه إلا الله"، وكلمـة "محمـد رسول الله"-؛ فجـاء بكلمـة "لا إله إلا الله" أوّلاً موضحة إثباتها على حدة ، ونفيها على حدة . ثمّ بيَّن البرهان القاطع عـلى صـحتها ؛ وهـو خلقه تعالى للمخلوقات[4] .

---

(١) الآيات {٨-٩} ، من سورة البقرة .

(٢) الآية {١٧} ، من سورة البقرة .

(٣) الآية {١٩} ، من سورة البقرة .

(٤) قال الشيخ رحمه الله: (وقد أقام الله جلَّ وعلا البرهان القاطع على صحَّة معنـى لا إلـه إلا الله نفياً وإثباتاً بخلقه للسموات والأرض وما بيـنهما في قولـه تعـالى: ﴿ **ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ**

ومن المعلوم أنّ كلمة "لا إله إلا الله" مركّبة من نفي وإثبات؛ لأنَّ "لا إلهَ": نفيٌ ، و "إلا الله" : إثبات .

ومعنى النفي منها:هو خلع جميع المعبودات غير الله في جميع أنواع العبادات .

ومعنى الإثبات منها : هو إفراده جلّ وعلا وحده بجميع أنواع العبادات على الوجه الشرعيّ خاصَّة ، مع الإخلاص له في ذلك على وجه الذلّ، والخضوع ، والمحبة[1] .

فإذا عرفت ذلك، فاعلم أنَّ قوله جلّ وعلا-بعد ذكره الطوائف الثلاث- : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [2]، كما وصفنا لك ؛ فقوله جلّ وعلا : ﴿ٱعْبُدُواْ

وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً ﴾ الآيتان {٢١-٢٢} ، من سورة البقرة . انظر أضواء البيان ٧/ ٣٦٦ .

(١) انظر أضواء البيان للمؤلف رحمه الله ٣/ ٨ ، ٢٠٥ ، ٢٦٧ . ومعارج الصعود في تفسير سورة هود من إملاء المؤلِّف رحمه الله ص ١٢٦ ، ٢٠٤ . وانظر كلام الشيخ محمَّد بن عبد الوهاب رحمه الله (مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب، القسم الأول : العقيدة ، تفسير كلمة التوحيد ص ٣٦٣ ، ٣٦٤) .

(٢) الآيتان {٢١-٢٢} ، من سورة البقرة .

﴿رَبَّكُمُ﴾ : فيه معنى الإثبات، من "لا إله إلا الله" ، وهو أولُ أمرٍ في المصحف الكريم .

وقوله تعالى : ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾ : يتضمّن معنى النفي منها ، على أبلغ وجهٍ وأكمله وأتمّه ، وهو أوّلُ نهيٍ في المصحف الكريم .

وقوله تعالى : ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾[٢] : هو البرهان القاطع / على صحّة معنى "لا إله إلا الله" ، ولذا جاء به بين طرفيها، وهو نصّ صريحٌ في أنّ من حِكَمِ خَلْقِ الخلق ؛ من العقلاء وغيرهم ؛ إقامة البرهان بذلك على أنَّه تعالى هو المعبود وحده .

ق ٣

وهذا البرهان كثيرٌ في القرآن كثرة مستفيضة لا خفاء بها ؛ كقوله تعالى في "الروم" : ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ . .﴾[١] ، إلى قوله : ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[٢] ، وقوله في "شورى" : ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ﴾[٣]، وقوله في "الجاثية" : ﴿إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ . . . .﴾ إلى قوله : ﴿ءَايَٰتٌ

(١) الآية {٢٠} ، من سورة الروم .
(٢) الآية {٢٢} ، من سورة الروم .
(٣) الآية {٢٩} ، من سورة الشورى .

لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [١]. وكقوله في "يونس" : ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي ٱلْآيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [٢]، وقوله في "يوسف" : ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [٣]، وقوله في "الأعراف" : ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ ...﴾ الآية[٤]. وقوله في "فصِّلت" : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلْآفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ ﴾ [٥]، وقوله تعالى في "الذاريات" : ﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [٦]، وقوله في "آل عمران" : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [٧]، وقوله في "الغاشية" : ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ ﴾ [٨].

---

(١) الآيات {٣-٥} ، من سورة الجاثية .
(٢) الآية {١٠١} ، من سورة يونس .
(٣) الآية {١٠٥} ، من سورة يوسف .
(٤) الآية {١٨٥} ، من سورة الأعراف .
(٥) الآية {٥٣} ، من سورة فصلت .
(٦) الآيتان {٢٠-٢١} ، من سورة الذاريات .
(٧) الآية {١٩٠} ، من سورة آل عمران .
(٨) الآيات {١٧-٢١} ، من سورة الغاشية .

فتأمَّل قوله بعد هذه البراهين القاطعة في سورة "الغاشية" هذه: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾﴾ ، تفهم نوع الحكمة في خلق المخلوقات .

وكقوله في "ق~": ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾﴾ (١) ، فتأمَّل قوله تعالى : ﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ﴾ ، تفهم نوع الحكمة في / خلق الخلق . ق ٤

والآيات بمثل هذا كثيرة جداً ، ولأجل ذلك جرت العادة في القرآن بأنّ الله تعالى يجعل علامة استحقاق العبادة هو كون المعبود خالقاً(٢) ؛ لأنّ خلقه للخلق برهانٌ على استحقاقه للعبادة ؛ كقوله : ﴿﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ...﴾ الآية(٣) الآية(٣) ، وقوله تعالى : ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾ بعد قوله : ﴿ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾ (٤) : واضحٌ في ذلك . وكقوله تعالى في "الرعد" : ﴿أَمْ

(١) الآيات {٦-٨} ، من سورة ق~ .
(٢) وهذا معنى أنَّ توحيد الربوبيَّة مستلزمٌ لتوحيد الألوهيَّة ؛ فالذي خلق الخلق وحدَه هو المعبود وحدَه . وانظر كلام الشيخ رحمه الله عن هذا الدليل في مؤلفه أضواء البيان ٣/ ١٠١ ، ٢١١ ،، ٤/ ٣٠ ،، ٧/ ٣٧٢ .
(٣) الآية {٢١} ، من سورة البقرة .
(٤) الآية {٢١} ، من سورة البقرة .

﴿ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ... ﴾ الآية[1] ؛ يعني : وخالق كلّ شيء هو المعبود وحده .

وكقوله تعالى في "فاطر" : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ . . ﴾ الآية[2] ؛ وهو صريحٌ في أنَّ من لا يخلق غيره لا يُعبَد ، وأنَّ من يخلُق غيرَه هو الذي يُعبد .

وبه تعلم أنَّ من حِكَم خَلْقِ الخَلْقِ: الدليلُ على استحقاق العبادة .

ونظير ذلك في قوله تعالى في "لقمان" : ﴿ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ ... ﴾ الآية[3] .

وقوله في "الأحقاف" : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ . . ﴾ الآية[4] ، وقوله تعالى في "الأعراف" : ﴿ أَيُشْرِكُونَ

---

(١) الآية {١٦} ، من سورة الرعد .
(٢) الآية {٤٠} ، من سورة فاطر .
(٣) الآيتان {١٠-١١} ، من سورة لقمان .
(٤) الآية {٤} ، من سورة الأحقاف .

﴿مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾﴾ (١)، وقوله تعالى في "الحجّ" : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ . .﴾ الآية(٢) ؛ يعني : أنَّ مَنْ لم يكن خالقاً لا يصحّ أن يكون معبوداً ، والمعبود لا بُدّ أن يكون خالقاً .

ولمَّا بيَّن تعالى في سورة "النحل" تلك البراهين العظيمة على جلاله وعظمته ، وأنَّه المعبود وحده ، في قوله : ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٣) ، إلى قوله : ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾﴾ (٤) ، أتبع ذلك بقوله : ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾﴾ (٥) .

ولمَّا بيَّن في سورة "الفرقان" علامات من يستحق العبادة بقوله: ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾﴾(٦) ، أتبع ذلك

ق ٥

(١) الآية {١٩١} ، من سورة الأعراف .
(٢) الآية {٧٣} ، من سورة الحج .
(٣) الآية {٣} ، من سورة النحل .
(٤) الآية {١٦} ، من سورة النحل .
(٥) الآية {١٧} ، من سورة النحل .
(٦) الآية {٢} ، من سورة الفرقان .

بصفات من لا يستحق أن يُعبد بقوله : ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ [١] شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ . . ﴾ الآية[٢] .

والآيات بمثل هذا كثيرة جداً معروفة ، وفيها الأدلة القاطعة الواضحة على أنَّ حكمة خلق الخلائق إلهية ربّانية ، لا نبوية ، كما رأيت ، وكما سترى.

وأمَّا ما أشرنا إليه من بُرهان "محمد رسول الله" ، فهو برهان الإعجاز المذكور بعد برهان "لا إله إلا الله" في آية البقرة الماضية .

فبُرهان "لا إله إلا الله" في قوله : ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ... ﴾ الآية[٣]، وبُرهان "محمد رسول الله" في قوله تعالى بعده: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ...﴾ الآية[٤] ، وليس مقصودنا تقرير بُرهان الإعجاز ، بل الجواب على السؤال المذكور .

وقد بيَّن تعالى أنّ من حِكَم خلقه للمخلوقات : هو أن يُعلم خلقه بكمال قدرته ، وإحاطة علمه العظيم بكلّ شيء ؛ كما قال تعالى في آخر سورة "الطلاق" : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ

(١) في الأصل : "يخلون" ، وهو سبق قلم .
(٢) الآية {٣} ، من سورة الفرقان .
(٣) الآية {٢١} ، من سورة البقرة .
(٤) الآية {٢٣} ، من سورة البقرة .

﴿ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ (١) ؛ فاللام في قوله : ﴿ لِتَعْلَمُوٓاْ ﴾ : متعلقة بقوله : ﴿ خَلَقَ ﴾ ؛ أي خلق ذلك الخلق كلَّه لتعلموا أنَّه على كلّ شيء قدير وأنَّه محيطٌ بكلّ شيء علماً(٢) .

وبه تُعلم أنّ حِكمة خلق الخلق إلهية ربانية ، لا نبوية .

ومن الحكم العظام في خلقه تعالى للخلق : أن يأمرهم وينهاهم على ألسنة رسله، ثمّ يختبرهم ؛ أي يبتليهم ، أيُّهم أحسن عملاً ، ثمّ يُجازيهم على ذلك .

وقد أوضح تعالى هذا المعنى في آيات كثيرة ؛ كقوله تعالى في أول سورة "هود" : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾ ، ثمّ بيَّن حكمة ذلك ، فقال : ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ (٣) ؛ فاللام في قوله : ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ ﴾ متعلقة بقوله : ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ .

---

(١) الآية {١٢} ، من سورة الطلاق .

(٢) قال ابن جرير الطبري –رحمه الله– في تفسير خاتمة هذه الآية : (ولتعلموا أيها الناس أنَّ الله بكلّ شيء من خلقه محيط علماً ، لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ..) . جامع البيان ١٢/ ١٤٦ . وقال ابن الجوزي –رحمه الله– : (أعلمكم بهذا لتعلموا قدرته على كل شيء، وعلمه بكل شيء) . زاد المسير ٨/ ٣٠١ .

(٣) الآية {٧} ، من سورة هود .

ونظيره في المعنى قوله تعالى في أول "الكهف" : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ [١] أَيُّهُمْ / أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ ﴾[٢]، وقوله تعالى في أوّل "الملك" : ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾[٣]، وقوله تعالى في آخر "الذاريات" : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ ﴾[٤] ؛

ق ٦

فقوله : ﴿ لِيَعْبُدُونِ ﴾ : التحقيق في معناه أنَّ المراد : إلاّ لآمرهم بعبادتي ، وأنهاهم عن معصيتي ، فأُوفِّق من شئت منهم إلى عبادتي ؛ كما دلَّت على هذا المعنى الآيات المذكورة آنفاً في "الملك" ، و"هود" ، و"الكهف"[٥] .

والغرض الشرعي المراد من طاعة الله وعبادته ، والخضوع له وتعظيمه، يحصل بفعل السعداء دون الأشقياء ؛ كما أشار تعالى إلى ذلك بقوله في "الأنعام" : ﴿ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾[٦]، وقوله تعالى في "فصِّلت" : ﴿ فَإِنِ

(١) في الأصل : "لنبولهم" ، وهو خطأ .
(٢) الآية {٧} ، من سورة الكهف .
(٣) الآية {٢} ، من سورة الملك .
(٤) الآيتان {٥٦-٥٧} ، من سورة الذاريات .
(٥) انظر أضواء البيان ٧/ ٦٧٣-٦٧٧ .
(٦) الآية {٨٩} ، من سورة الأنعام .

﴿ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾ ﴾[1] .

واختار ابن جرير الطبري[2] : ؛ -ومعلومٌ أنه من كبار المفسِّرين ، وقال بعض العلماء[3] : هو كبير المفسِّرين-؛ أنَّ معنى الآية : ﴿ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ : أي ليُقرُّوا لي بالعبودية ، ويخضعوا ويُذعنوا لذلك ؛ فالمؤمنون يُذعنون طوعاً ، والكفَّار يُذعنون كرهاً[4] . وهو قول ابن عباس[5] .

وقد قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ﴿١٥﴾ ﴾[6] .

---

(١) الآية {٣٨} ، من سورة فصلت .

(٢) هو الإمام المفسِّر ، صاحب التصانيف البديعة . جمع من العلوم ما لم يُشاركه فيه أحدٌ من أهل عصره . مات سنة عشر وثلاثمائة ، وقد جاوز الخامسة والثمانين .
(انظر : سير أعلام النبلاء للذهبي ١٤/ ٢٦٧ . ومعجم البلدان لياقوت الحموي ١/ ٥٧ . وطبقات المفسرين للداودي ٢/ ١٠٦) .

(٣) وقال ابن خزيمة رحمه الله : (ما أعلم على أديم الأرض أعلم من محمد بن جرير) .
(انظر : الأربعين في صفات رب العالمين للذهبي ص ٩٢ . والعلوّ له ص ١٥٠-١٥١).

(٤) انظر جامع البيان للطبري ١١/ ٤٧٦ .

(٥) قال ابن عباس -رضي الله عنهما- : (إلا ليُقرُّوا بالعبادة طوعاً وكرهاً) . انظر جامع البيان للطبري ١١/ ٤٧٦ .

(٦) الآية {١٥} ، من سورة الرعد .

وما يزعمه كثيرٌ من متأخِّري المفسرين[١] من أنّ "اللام" في ﴿لِيَعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ للصيرورة : لا أصل له ، وهو مبنيّ على شيء مذكور في علم الكلام[٢] ،

لا يشكّ عالم بكتاب الله منصفٌ في بطلانه ، كما أوضحناه مراراً[٣] .

وقد رأيت في الآيات الماضية أنَّ من حِكم خلق الخلق: أمرهم بعبادة[٤] الله ، وابتلاءهم أيهم أحسن عملاً .

ومعلومٌ أنَّ الأمر والنهي لا تتمّ الحكمة فيهما إلا بجزاء المحسنين بالإحسان ، والمسيئين بالإساءة .

---

(١) انظر : الفتوحات الإلهيَّة ٤/ ٢١١ . وتفسير الجلالين بحاشية الفتوحات الإلهيَّة . والكشاف للزمخشري ٤/ ٢١ .

(٢) عرّف الإيجي علم الكلام بقوله : (علمٌ يُقتدر معه على إثبات العقائد الدينيّة ، بإيراد الحجج ودفع الشبه) . المواقف في علم الكلام للإيجي ص ٧ . وعلم الكلام منه المقبول ومنه المذموم . يقول شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– : (والسلف لم يذمّوا جنس الكلام ، فإنّ كلّ آدمي يتكلّم ، ولا ذمّوا الاستدلال والنظر والجدل الذي أمر الله به ورسوله، والاستدلال بما بيّنه الله ورسوله ، ولا ذمّوا كلاماً هو حق ، بل ذمّوا الكلام الباطل ؛ فالكلام الذي ذمّه السلف هو الباطل ، وهو المخالف للشرع والعقل) . مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٣/ ١٤٧ .

(٣) انظر أضواء البيان ٧/ ٦٧١ ، ٦٧٧ . ودفع إيهام الاضطراب للمؤلف رحمه الله –وهو ملحق في تتمة كتاب أضواء البيان– ٩/ ١٥٨-١٦١ .
والمتكلِّمون ينفون حكمة الله ، ويُنكرون أن تكون أفعاله ﷻ واقعة لسبب أو لعلة . انظر كتاب النبوات لشيخ الإسلام رحمه الله ١/ ٢٤٠-٢٤١ ، ٤٢٧-٤٣٣ .

(٤) في الأصل : "بعباد" .

ولذلك بيَّن تعالى في آيات كثيرة أنَّ من حِكَم خلقه تعالى للخلائق : جزاء المحسن منهم بإحسانه ، والمسيء منهم بإساءته ؛ كقوله تعالى في "النجم" : ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَىٰٓ ﴿٣١﴾ ﴾ (١) .

فقوله تعالى في هذه الآية : ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ ، أي: هو خالقهما ، وما فيهما . ثمَّ بيَّن الحكمةَ، فقال : ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ . .﴾ الآية.

ق ٧

ويزيد ذلك إيضاحاً / قوله تعالى في أول "يونس" : ﴿إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ ﴾ (٢) .

والكفَّار الذين ظنُّوا أنَّ خلقَ السموات والأرض وما فيهما لا لتكليفٍ وحسابٍ وجزاءٍ ، هدَّدهم بالويل من النار ، بسبب هذا الظنّ السيء المقتضي تجرُّد خلق الخلائق عن حكمة التكليف والحساب والجزاء ، وذلك في قوله في ص~ : ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ ﴾ (٣) .

---

(١) الآية {٣١} ، من سورة النجم .
(٢) الآية {٤} ، من سورة يونس .
(٣) الآية {٢٧} ، من سورة ص .

وقد نزَّه نفسَه تعالى عن أن يكون خَلَقَ الخَلْقَ لا لبعثٍ وجزاءٍ، وأنكر على من ظنَّ ذلك إنكاراً شديداً في آخر سورة "الفلاح"[١] ؛ قال منكراً ذلك بهمزة استفهام الإنكار : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ ﴾[٢] .

ثمَّ نزَّه نفسه عن ذلك الحسبان المقتضي تجرّد خلقهم عن حكمة البعث والجزاء أكمل تنزيهٍ وأتمّه ، بقوله : ﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴾[٣] ؛ أي : تعالى الله الملك الحقّ ، وتقدَّس وتعاظم وتنزَّه عن أن يكون خلقهم عبثاً لا لحكمة بعثٍ وجزاء .

وقال تعالى منكراً ذلك أيضاً : ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ ﴾ الآية[٤] .

وهذا الذي نزَّه تعالى عنه نفسه ؛ من كونه خلقهم باطلاً ؛ لا لبعثٍ وجزاء ، نزَّهه عنه أيضاً أولوا الألباب ؛ أي : أصحاب العقول السليمة ، وذلك في قوله تعالى في "آل عمران" : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾

---

(١) وهي سورة "المؤمنون" . وسمّيت بسورة "الفلاح" ، لأنّ الله تعالى ابتدأها بقوله : ﴿ قد أفلح المؤمنون ﴾ .

(٢) الآية {١١٥} ، من سورة المؤمنون .

(٣) الآية {١١٦} ، من سورة المؤمنون .

(٤) الآية {٣٦} ، من سورة القيامة .

﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾[1] ؛ فقوله : ﴿ سُبْحَانَكَ ﴾ : أي تنزيهاً لك عن أن تكون خلقتَ هذا الخلقَ باطلاً ، لا لحكمة تكليفٍ وبعثٍ وحسابٍ وجزاءٍ ؛ فتنزيههم له عن ذلك بقولهم : ﴿سُبْحَانَكَ ﴾ ، كتنزيهه لنفسه عن ذلك بقوله : ﴿ فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ﴾ الآية[2] .

وأمَّا مسألة رزقه تعالى لخلقه : فقد بيَّن تعالى في آياتٍ كثيرة من كتابه أنَّ من حِكَم ذلك كونه بُرهاناً قاطعاً على أنَّه لا إله إلا هو وحده ، وأنَّه المعبود وحده .

ق ٨ فكونه هو الرَّازق لخلقه : من أعظم أدلّة التوحيد / الدالَّة على عظمته ـ جلّ وعلا ـ ، وجلاله ، وكمال قدرته .

ولذا يأتي بصفة الرزق دائماً في القرآن في إقامة البرهان[3] على توحيده تعالى؛ كقوله تعالى في "الروم" : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ

(١) الآيتان {١٩٠-١٩١} ، من سورة آل عمران .
(٢) الآية {١١٦} ، من سورة المؤمنون .
(٣) ومعناه أنَّ المتّصف بصفة الرزق ، هو المستحق أن يُعبَد وحده ، والعاجز عن الرزق لا يصلح أن يكون إلهاً . (انظر أضواء البيان ٣/ ٣٢٢-٣٢٧ ،، ٧/ ٦٦٦) .

سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾﴾[1]، وقوله تعالى في "يونس":﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾[2]، وقوله تعالى في "سبأ":﴿ ۞ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ﴾[3]، وقوله تعالى في "النمل" :﴿أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾﴾ الآية[4]، وقوله في "غافر" :﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ ﴾[5]، وقوله تعالى في "الجاثية" :﴿ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ ﴾[6]، وقوله تعالى في "البقرة" :﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾[7]، وقوله في

---

(١) الآية {٤٠} ، من سورة الروم .
(٢) الآيتان {٣١-٣٢} ، من سورة يونس .
(٣) الآية {٢٤} ، من سورة سبأ .
(٤) الآية {٦٤} ، من سورة النمل .
(٥) الآية {١٣} ، من سورة غافر .
(٦) الآية {٥} ، من سورة الجاثية .
(٧) الآية {٢٢} ، من سورة البقرة .

"غـــــافر" : ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ . .﴾ الآية[١] ، وقولـه تعـالى في "الأنعـام": ﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ﴾[٢] ، وقولـه تعالى في "العنكبوت" : ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾[٣] .

ومـن أصـرح البراهين في ذلك: قوله تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ﴾ ، إلى قوله : ﴿مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴿٣٢﴾﴾[٤] .

والآيات بمثل هذا كثيرةٌ جداً[٥] .

وصـفة الـرزق في جميـع الآيـات المـذكورة إنَّـما هـي مـن بـراهين التوحيد.

---

(١) الآية {٦٤} ، من سورة غافر .

(٢) الآية {١٤} ، من سورة الأنعام .

(٣) الآية {١٧} ، من سورة العنكبوت .

(٤) الآيات من {٢٤} ، إلى {٣٢} ، من سورة عبس .

(٥) مثل قوله تعالى : ﴿ ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقاً من السموات والأرض شيئاً ولا يستطيعون ﴾[النحل : ٧٣] ، وقولـه تعـالى : ﴿ أمَّـن هـذا الـذي يـرزقكم إن أمسك رزقه بل لجّوا في عتوّ ونفور ﴾ [تبارك : ٢١] ، وقوله تعالى : ﴿ وما خلقت الجنّ والإنس إلا ليعبدون ما أُريد منهم من رزق وما أُريد أن يُطعمون إنَّ الله هو الرزَّاق ذو القوَّة المتين ﴾[الذاريات : ٥٦-٥٨] . .

وبذلك تعلم أنّ من حِكَم رزقه تعالى لخلقه : إقامة البُرهان لهم بذلك على عظمته ، وكمال قدرته ، وأنَّه المعبود وحده جلّ وعلا .

وبه تعلم أنّ حكمة رزق الخلق إلهيّة ربَّانيّة ، لا نبويّة .

ق ٩

وقد بيَّن تعالى امتنانه على سيِّدنا محمد صلى الله / عليه وسلَّم بأنَّه تعالى هو الذي رزقه كما رزق جميع الرسل، وجميع الخلق . قال تعالى مخاطباً له خ في سورة "الضحى" : ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغۡنَىٰ ۝٨﴾ [١] ؛ أي: وجدك فقيراً ، فأغناك برزقه الحلال الطيِّب . وقال تعالى مخاطباً له أيضاً في "طه" : ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ ۝١٣٢﴾ [٢] .

وقد بيَّن تعالى أنَّ من حِكَم رزقه لخلقه : إظهار شدّة حاجتهم وفقرهم وفاقتهم إلى رحمته جلّ وعلا ، وأنَّه لو أمسك عنهم الرزق أو أبعد عنهم الماء في داخل الأرض ، حتى لا يستطيعوا الوصول إليه ، أو جعله ملحاً أجاجاً لا يمكن أن يُشرب ، لهلكوا جميعاً ، ولم يقدر أحدٌ كائناً من كان أن يُطعمهم ، ولا أن يسقيهم .

قال تعالى في "الملك": ﴿أَمَّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي يَرۡزُقُكُمۡ إِنۡ أَمۡسَكَ رِزۡقَهُۥۚ﴾ [٣] .
وقال فيها أيضاً : ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَصۡبَحَ مَآؤُكُمۡ غَوۡرٗا فَمَن يَأۡتِيكُم بِمَآءٖ مَّعِينِۢ ۝٣٠﴾

(١) الآية {٨} ، من سورة الضحى .
(٢) الآية {١٣٢} ، من سورة طه .
(٣) الآية {٢١} ، من سورة الملك .

﴾[١] . وقال في "الواقعة" : ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾[٢] .

وقد بيَّن تعالى أنَّ من حِكَم رزقه لخلقه : عظمُ رحمته وفضله وكرمه ؛ كقوله تعالى : ﴿۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾﴾[٣] .

فقد رأيتَ في الآيات القرآنية بعض حِكَم خلق الله تعالى لخلقه ورزقه لهم .

ومعلومٌ أنَّ من أسمائه : " الخالق " ، ومن أسمائه : " الرزَّاق " ، ومعلومٌ أنَّ أسماءه أزليَّة لا أوَّل لها[٤] .

وبالجملة : فإيضاح هذا المبحث كلِّه : هو أنّ الله جلّ وعلا غنيّ عن الخلائق كلِّهم ، وقد اقتضت حكمته أن يخلق السموات والأرض ونحوهما ليُقيم ذلك بُرهاناً قاطعاً على كمال قدرته ، وعظمته ، وأنَّه المعبودُ وحده ، وخَلَقَ العقلاءَ كلَّهم لتلك الحكمة ، ولحكم

(١) الآية {٣٠} ، من سورة الملك .
(٢) الآيات {٦٨-٧٠} ، من سورة الواقعة .
(٣) الآية {٦} ، من سورة هود .
(٤) وانظر دفع إيهام الاضطراب في تتمَّة أضواء البيان ٩/ ١٥٨ ، ففيها مزيد بيان وتفصيل لهذه المسألة .

أخرى عظيمة ، وهي : أنَّه يأمرهم ، وينهاهم على ألسنة رسله عليهم الصلاة والسلام ، ثمّ يُوفِّق فريقاً منهم ؛ وهم أهل الجنَّة ، ولم يفعل ذلك لغيرهم ؛ وهم أهل النار / .

وقد أشار تعالى إلى أنَّ اختلافهم إلى شقيّ وسعيد مِنَ الحِكَم التي خلقهم لأجلها ، في سورة "هود" ، في قوله تعالى : ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ﴾[1] .

والتحقيق : أن الإشارة في قوله : ﴿وَلِذَٰلِكَ﴾[2] : راجعةٌ إلى اختلافهم إلى شقيّ وسعيد ، المذكور في ضمن قوله : ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾﴾ . ولذا ذكر بعده مصير فريق الأشقياء بقوله : ﴿كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾ الآية[3] .

---

(١) الآيتان {١١٨-١١٩} ، من سورة هود .

(٢) وقال رحمه الله أيضاً عند تفسير هذه الآية ﴿ ولذلك خلقهم ﴾ [هود : ١١٩] : (أي خلقهم لأن يختلفوا إلى مؤمن وكافر ، وبرّ وفاجر ، وشقيّ وسعيد ، ليصرف كلاًّ إلى ما كُتِبَ له في الأزل ، ولتظهر فيهم آثار صفات الله تعالى وأسمائه ؛ من رحمة ورضا وثواب للمطيعين ، وقهر وجبروت وشدَّة عذاب للعاصين) . معارج الصعود ص ٢٠٣ . وانظر المصدر نفسه ص ٢٩٤-٢٩٥ . وانظر شفاء العليل لابن القيم ص ٢٠٢-٢٠٣ .

(٣) الآية {١١٩} ، من سورة هود .

والاختلاف المذكور في آية "هود" هـذه ، هو المذكور في "التغابن" ، في قوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ﴾[1] ، وفي "شـورى" ، في قـولـه تعـالى: ﴿وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾ ﴾[2] ، وفي "الأعراف" ، في قوله تعـالى : ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ﴾[3] .

والآيات بمثل ذلك كثيرةٌ جداً .

ومـن الحِكَم الباهرة في إسعادِ قومٍ ، وإشقاءِ آخـرين : أنّ كـلاً مـن الفريقين[4] ينكشف فيه بعض أسرار أسمائه الحسنى ، وصفاته العـلا ؛ فالـذين وفَّقهم لفعل الخير يظهر فيهم بعضُ أسرار أسـمائه وصـفاته ؛ فالـذين يرحمهم ، يظهر فيهم سرّ رحمته التي اشتقّ لنفسه منهـا اسـمه "الرحيم" ، و "الرحمن" ، ورأفته التي منها اسمه "الرؤوف" ، وكرمه الذي منه اسمه "الكـريم" ، وحِكَمـه الـذي منـه اسـمه "الحكـيم" ، وهكـذا.

والـذين أشـقاهم يظهـر فـيهم أسرار بعـض أسـمائه وصـفاته ؛ كانتقامه الذي منه اسم "المنتقم" ، وكبريائـه وجبروتـه اللـذين مـنهما

(١) الآية {٢} ، من سورة التغابن .
(٢) الآية {٧} ، من سورة الشورى .
(٣) الآيتان {٢٩-٣٠} ، من سورة الأعراف .
(٤) في الأصل "الفرقين" . وهو سبق قلم .

اسما "الجبار" ، "المتكبر" ، وهكذا أيضاً ، لأنّ بذلك يجتمع الخوف والمحبَّة[١] .

وعلى كلّ حال : فسيّدنا وسيِّد الخلائق كلّها محمّد ﷺ أعطاه الله جلّ وعلا من التشريف والتعظيم والتكريم وعلوّ الشأن في العالم العلويّ والسفليّ مِمَّا هو ثابت في كتاب الله والسنَّة الصحيحة ، ما هو في أشدّ الغنى عن ادّعاء تعظيمه بأمور لا أساس لها ، ولا مستند لها البتة ، ولم يقل ﷺ حرفاً منها .

فعلى المسلم أن يثبَّت ويتحفَّظ ، وألا يقول على نبيِّنا ﷺ شيئاً إلا بعد ثبوت صحّته ، لأنَّه ﷺ روى عنه سبعون من أصحابه أنه قال : "من كذب عليَّ متعمِّداً فليتبوَّأ مقعده من النَّار"[٢] .

---

(١) وقد أوضح الشيخ الأمين رحمه الله هذه المسألة فقال : (إنّ ربّ السموات والأرض غنيّ غنى مطلقاً بذاته ، خلق الخلق لتظهر فيهم أسرار أسمائه وصفاته ، وعلامات ملكه وسلطنته وقهره . ومن صفاته تعالى ما يدلّ على الرحمة والرأفة والشفقة . ومنها ما يدلّ على العزّة والقهر والجبروت والغلبة . فلو جعل النَّاس كلَّهم مهتدين لما ظهر للخلق كمال الإنصاف والعدل ، ولما ظهر للنَّاس شدَّة قهره وجبروته . ولو جعلهم كلَّهم كفَّاراً لما ظهر للنَّاس آثار رحمته ورأفته وعطفه وجوده وإحسانه . ولهذا هدى الله تعالى قوماً وطبعهم على الطيب من الأعمال ، وصرف نيَّاتهم إلى ما سبق به الأزل لهم من الخير ، لتظهر فيهم آثار أسمائه الدالَّة على الرحمة وغيرها من صفات الإحسان والجود والكرم، وخلق آخرين ، وطبعهم على الخبث، وصرف نيَّاتهم إلى ما كتب لهم في الأزل وفي سابق علمه من الشقاء لتظهر فيهم آثار قدرته ، وشدة بطشه ، وكمال عدله وإنصافه). معارج الصعود ص٢٩٤-٢٩٥. وانظر شرح العقيدة الطحاوية ص٢٨١-٢٨٢.

(٢) ذكر الزبيدي في "لقط اللآلئ المتناثرة في الأحاديث المتواترة" ص ٢٦١- ٢٨٢ : أنَّ تسعة وتسعين صحابيًّا رووا هذا الحديث . وهو في الصحيحين ، من حديث علي بن أبي

وعلى كلّ حال : فمن المعلوم الواضح أنَّه لا ينبغي لأحدٍ أن يقول : إنَّ فرعون، وهامان ، وقارون ، وعاقر ناقة صالح ، وأبا جهل، وأمية بن خلف، ونحوهم من أئمة الكفر ، خُلِقوا من بركة سيِّدنا محمَّدٍ ﷺ، وكذلك سائر المشركين والكفَّار ، لأنَّه ﷺ خيرٌ كلُّه ، ولا ينشأ عنه إلا خير محض ، كما لا يخفى[1] .

انتهى

طالب ، والزبير بن العوام ، وعبدالله بن عمرو بن العاص، وأبي سعيد الخدري، وأبي هريرة، وأبي ذر الغفاري، وأنس بن مالك، والمغيرة بن شعبة، وغيرهم رضي الله عنهم . (انظر : صحيح البخاري ، كتاب العلم ، ح ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠، وكتاب الجنائز ، ح ١٢٩١، وأحاديث الأنبياء ، ح ٣٤٦١، وكتاب المناقب ، ح ٣٥٠٨ ، وكتاب الأدب ، ح ٦١٩٧، وصحيح مسلم ، في المقدمة ، ح ٣، ٤، ٥، وفي كتاب الزهد والرقائق، ح ٧٧٠٢.

(١) وهذا جواب عقليّ مقنع ، يُوافق النصوص الشرعيَّة .

فهرس المصادر

١- الإبريز -الذي تلقاه أحمد بن المبارك عن عبدالعزيز الدباغ-. المطبعة الأزهرية المصرية، ط١ : ١٣٠٦هـ .

٢- الأربعين في صفات رب العالمين ، لشمس الدين الذهبي . تحقيق عبدالقادر محمَّد عطا صوفي. نشر مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، ط١ : ١٤١٣هـ-١٩٩٣م .

٣- الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة ، لملا علي القاري . طبعة المكتب الإسلامي، دمشق-بيروت ، ط٢: ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م .

٤- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، للشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجنكي الشنقيطي. نشر مكتبة ابن تيمية، القاهرة-مصر ، ١٤٠٨-١٩٨٨م .

٥- الأمالي ، لمحمد بن الحسن الطوسي -الملقب عند الرافضة بشيخ الطائفة- . مطبعة النعمان ، النجف-العراق ، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م .

٦- الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل ، لعبدالكريم الجيلي . طبعة البابي الحلبي ، مصر ، ط٤ .

٧- البردة = بردة المديح، ومعها القصيدة المصرية والقصيدة المحمدية، لشرف الدين أبي عبدالله محمَّد البوصيري . نشر مكتبة ومطبعة الحسيني ، القاهرة ، (د . ط) .

٨- البريلوية ، لإحسان إلهي ظهير . طبعة إدارة ترجمان السنة ، لاهور-باكستان ، ط٦ : ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م. توزيع إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد .

٩- التبرك : أحكامه وأنواعه ، للدكتور ناصر عبدالرحمن محمد الجديع. مكتبة الرشد ، الرياض ، ١٤١١هـ .

١٠- التصوف بين الحق والخلق ، لمحمد فهر شقفة . طبعة الدار السلفية للنشر والتوزيع ، ط٣ ، (د . ت) .

١١- تفسير الجلالين ، لجلال الدين السيوطي ، وجلال الدين محمد بن أحمد . طبعة دار إحياء الكتب العربية ، (د . ت) .

١٢- تلخيص كتاب الاستغاثة المعروف بالرد على البكري ، لشيخ الإسلام ابن تيمية. نشر الدار العلمية السعودية ، (د . ت) .

١٣- تهذيب اللغة ، لأبي المنصور محمد بن أحمد الأزهري ، تحقيق الدكتور عبدالحليم النجار. نشر الدار المصرية للتأليف والنشر، طبعة مطابع سجل العربي، (د. ت).

١٤- جامع البيان في تأويل القرآن ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري. طبعة دار المعرفة ، بيروت-لبنان ، (د . ت) .

١٥- جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف، لعبدالعزيز بن صالح الطويان . مكتبة العبيكان ، الرياض ، ط١: ١٤١٩هـ-١٩٩٨م .

١٦- حجة الله البالغة، للشيخ أحمد المعروف بشاه ولي الله بن عبدالرحيم الدهلوي . طبعة دار المعرفة ، بيروت-لبنان .

١٧- الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة ، لجلال الدين السيوطي. نشر مكتبة دار العروبة ، الكويت ، ط٢: ١٤١٠هـ-١٩٨٩م .

١٨- دفع إيهام الاضطراب ، لمحمد الأمين الشنقيطي . ملحق في تتمة كتاب أضواء البيان -المجلد العاشر- .

١٩- دلائل النبوة ، لأبي نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني . (د . ن)، (د . ت) .

٢٠- رجال النجاشي = فهرست أسماء مصنفي الشيعة .

٢١- الرد على البكري ، لشيخ الإسلام ابن تيمية = تلخيص كتاب الاستغاثة .

٢٢- سلسلة الأحاديث الصحيحة ، لمحمد ناصر الدين الألباني . طبعة المكتب الإسلامي ، دمشق-بيروت ، ومكتبة المعارف ، الرياض.

٢٣- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة ، لمحمد ناصر الدين الألباني . طبعة المكتب الإسلامي ، دمشق-بيروت .

٢٤- سير أعلام النبلاء ، لشمس الدين الذهبي . طبعة مؤسسة الرسالة ، بيروت-لبنان ، ط١: ١٤٠١هـ-١٩٨١م .

٢٥- شرح العقيدة الطحاوية ، لعلي بن محمد بن أبي العز الحنفي . طبعة دار الفكر العربي ، بيروت-لبنان ، (د . ت) .

٢٦- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ، لابن قيم الجوزية . نشر مكتب التراث ، القاهرة- مصر ، (د . ت) .

٢٧- صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ، لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري . طبعة دار الفكر للطباعة والنشر ، (د . ت) .

٢٨- صحيح مسلم بشرح النووي ، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري . المطبعة المصرية ومكتبتها ، القاهرة- مصر .

٢٩- العلو للعلي الغفار ، لشمس الدين الذهبي . دار الفكر ، بيروت-لبنان ، ط٢: ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م .

٣٠- الفتوحات المكية ، لمحيي الدين ابن عربي . طبعة المطبعة العربية ، القاهرة- مصر، (د . ت) .

٣١- فهرست أسماء مصنفي الشيعة ، لأحمد بن علي النجاشي . مكتبة الداوري ، قم- إيران، (د.ت) .

٣٢- الفوائد ، لتمام الرازي . تحقيق الدكتور عبدالغني التميمي ، رسالة دكتوراه مقدمة إلى جامعة أم القرى ، مكة المكرمة .

٣٣- الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة ، لمحمد بن علي الشوكاني . المكتب الإسلامي ، دمشق-بيروت ، ط٣ : ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م .

٣٤- قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ، لشيخ الإسلام ابن تيمية . نشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م .

٣٥- الكامل في ضعفاء الرجال ، لأبي أحمد عبدالله بن عدي الجرجاني. دار الفكر، بيروت، ط١: ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م .

٣٦- الكشاف ، للزمخشري . طبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة-مصر ، تحقيق محمد الصادق قمحاوي ، (د . ت) .

٣٧- كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس ، لإسماعيل العجلوني. مكتبة التراث الإسلامي ، حلب ، ودار التراث ، القاهرة .

٣٨- اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ، لجلال الدين السيوطي . ط المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة-مصر .

٣٩- لسان الميزان ، لابن حجر العسقلاني . تصوير مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، لبنان ، (د . ت) .

٤٠- مجموع الأوراد الكبير والأدعية والأحزاب والاستغاثات ، للبكري . طبعة مكتبة النصر ومطبعتها ، القاهرة- مصر ، (د . ت) .

٤١- مختصر التحفة الاثني عشرية ، لمحمود شكري الألوسي . نشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء ، الرياض ، ١٢٧٣هـ-١٩٤٢م .

٤٢- المستدرك على الصحيحين ، للحاكم أبي عبدالله محمد بن عبدالله . نشر دار الكتب العلمية ، بيروت-لبنان .

٤٣- مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية، وأثرها السيء على الأمة الإسلامية ، لإدريس محمود إدريس . مكتبة الرشد ، الرياض ، ط١ : ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

٤٤- معارج الصعود في تفسير سورة هود ، للشيخ محمد الأمين الشنقيطي . جمع الدكتور عبدالله قادري . طبع دار المجتمع ، جدة ، ط١ : ١٤٠٨هـ .

٤٥- معجم البلدان ، لياقوت الحموي . تصوير دار صادر ، بيروت-لبنان ، (د . ت) .

٤٦- مفاهيم يجب أن تصحّح ، لمحمد علوي المالكي الحسيني . طبعة دار الإنسان ، القاهرة- مصر ، ط١ : ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م .

٤٧- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، لشمس الدين السخاوي. توزيع دار الباز ، مكة المكرمة، ط : ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م .

٤٨- المناقب ، لأخطب خوارزم . ط المطبعة الحيدرية ، النجف- العراق ، ١٣٨٠هـ.

٤٩- مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، لابن المغازلي . طبعة قم – إيران .

٥٠- منهج الشيخ الشنقيطي في تفسير آيات الأحكام من أضواء البيان، لعبدالرحمن السديس . مكتوب على الآلة الكاتبة .

٥١- المواقف في علم الكلام ، لعبدالرحمن الإيجي . عالم الكتب ، بيروت ، (د.ت) .

٥٢- مواعظ نعيمية ، لأحمد يار خان . طبعة بريلي ، الهند .

٥٣- موضوعات الصغاني، لأبي الفضائل الحسن بن محمد بن الحسن القرشي الصغاني . دار المأمون للتراث ، دمشق- بيروت ، ط٢ ١٤٠٥-١٩٨٥م .

٥٤- مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب –قسم العقيدة- . طبع بمطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض .

٥٥- ميزان الاعتدال ، لشمس الدين الذهبي . تصوير دار المعرفة ، بيروت-لبنان ، عن الطبعة الأولى ١٣٨٢هـ-١٩٦٣م .

٥٦- النبوات، لشيخ الإسلام ابن تيمية . طبع دار الكتب العلمية ، بيروت-لبنان ، ١٤٠٢هـ .

٥٧- النور المحمدي بين هدي الكتاب المبين وغلوّ الغالين ، لعداب محمود الحمش . دار حسن للنشر والتوزيع، ودار الأماني للنشر والتوزيع، الرياض- السعودية ، ط١: ١٤٠٧هـ .

٥٨- هذه مفاهيمنا : رد على مفاهيم ينبغي أن تصحح لمحمد علوي مالكي، لمعالي الشيخ صالح آل الشيخ . خال من مكان الطبع ، وتاريخه .

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	
موضوع الكتاب	١٢٢
حماية رسولنا ﷺ لجناب التوحيد	١٢٩
تبرّك الصحابة برسول الله ﷺ في حياته	١٣٣
المراد بالسؤال الموجّه إلى فضيلة الشيخ الشنقيطي	١٣٣
قول الصوفية عن رسولنا ﷺ إنه مخلوق من نور	١٣٥
زعم الصوفية أن رسولنا ﷺ أول المخلوقات	١٣٩
أدلتهم على أن العالم وجد لأجله ﷺ	١٤٤
أدلتهم على تقدم خلقه ﷺ على سائر المخلوقات	١٤٧
أدلتهم على أن رسولنا ﷺ مخلوق من نور	**١٥٢**
الأحاديث التي وضعها الرافضة في ذلك	**١٥٦**
نبذة موجزة عن حياة الشيخ الشنقيطي	**١٦٥**
وصف النسخة الخطية	١٦٨
النص المحقق	١٧١
فهرس المصادر	**١٥٦**
فهرس الموضوعات	**١٦٥**